التَّعَجُّب بَيْنَ النَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ
دِرَاسَةٌ في آليَّاتِ إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ وَالوَعْي بِالمَعْنَى

د. مُحَمَّد عَلِيّ مَهْدِي *
د. يَحْيى إِبْرَاهِيم قَاسِم *

الملخص:

تناول هذا البحث التعجب أسلوبا ودلالة في جانبيه القياسي والسماعي، محاولا الكشف عن الفرق بين النحاة والبلاغيين في دراستهم للتعجب، ومعرفة آليات إنتاج دلالة التعجب السماعي والقياسي. وقد جاء البحث في مبحثين: تناول الأول التعجب القياسي وتناول المبحث الثاني التعجب السماعي.

الكلمات المفتاحية: التَّعَجُّب، البلاغة، النحو، الدلالة، التعجب القياسيّ، التعجب السَّماعيَّ. المعنى، الوعي بالمعنى، المجتمع، السياق الثقافي.

المقدمة:

يتناول هذا البحث التعجب أسلوبا ودلالة بين النحاة والبلاغيين، فقد درس النحاة الشروط اللازمة لصياغة التعجب من الفعل، وهو ما يعرف بالتعجب القياسي، وضبط القاعدة التي في ضوئها يقوم أبناء اللغة بالتعجب، ومرادهم بذلك أن يتعلم المتلقي كيفية التعجب وصياغته بما يوافق النظام اللغوي الفصيح. والملاحظ أنهم اقتصروا في ذلك على التعجب من الفعل، ولذلك انصب اهتمامهم على بيان الشروط التي يجب توافرها في الفعل حتى يتعجب منه، على الرغم من أن دلالة التعجب لا تتعلق بالفعل فقط، بل تتعداه إلى فضاءات متعددة، فقد يكون التعجب من الفاعل أو المفعول أو الزمان أو المكان، أو حتى من السياق في التعجب السماعي، أما البلاغيون، فانصب اهتماهم على

* أُسْتَاذُ البَلاغة والنَّقْد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب– جامعة الحديدة.
* أسْتَاذُ اللُّغَويَّاتِ بقسم اللغة العربية وآدابهَا- كلية الآداب– جامعة الحديدة.

كيفية إنتاج دلالة التعجب وتوليدها من استعمالات أخرى في سياقات مختلفة، وهي سياقات تخرج على القواعد التي وضعها النحاة في التعجب القياسي. كما هي الحال في الاستفهام حين يخرج عن دلالته الأصلية، فينتج دلالات مختلفة منها دلالته على التعجب. ولذلك كان التعجب لدى البلاغيين أوسع منه عند النحاة؛ لأنهم درسوا التعجب من خلال نصوص ورد فيها التعجب، وهذه النصوص مأخوذة عن أبناء اللغة عامة، وليس لها قاعدة تضبطها ولا يمكن القياس عليها، ولا ضبطها بقاعدة معينة.

ويستهدف البحث بيان آليات إدراك معنى التعجب، والعوامل المؤثرة في إدراك دلالة التعجب لدى المتلقي، وأثر السياق الثقافي في إنتاج معنى التعجب والوعي به. ومعرفة موقف النحاة والبلاغيين في دراستهم التعجب.

ويحاول البحث في هذا السياق التَّعَرُّف على آليات إدراك المعنى في أسلوب التعجب القياسي والسماعي على وجه الخصوص، ودلالاته التي وردت في كتب اللغة خارج التعجب القياسي.

ونحاول أن نقدم، فيما نزعم، تصورا مختلفا عن الدراسات السابقة للتعجب، في حدود علمنا، في تناول التعجب أسلوبا ودلالة، في دراسة إنتاج الدلالة في أساليب التعجب القياسية منها والسماعية على وجه الخصوص.

وقد أفاد البحث من المنهج الوصفي مِنْ خِلالِ اسْتِقْراءِ بعض شواهد التَّعجب القياسي والسماعي، والوقوف على آليات إنتاج معنى التعجب، عند البلاغيينَ والنُّحَاةِ، ومِنْ ثَمَّ تَحْلِيْلُهَا وَمنَاقَشَتُهَا.

وقد انتظم البحث في مبحثين هما: التَّعَجُّب القياسيّ، والتَّعَجُّب السَّمَاعِيّ، تسبقهما مقدمة، وتليهما خاتمة البحث ونتائجه.

الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات والبحوث العلمية التي تناولت التعجب بالدراسة، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- صيغ التَّعجب السماعية، د. سليم عزيز القرشي، ود. ماجد محسن الموسوي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العراق، العدد٢٠٠٦/١٣م.

جمع الباحثان الصيغ السماعية المتفرقة في كتب النحو والأدب، وصنفا هذه الصيغ واستشهدا بشواهد متعددة لاستعمالها في التعجب، وأوردا أقوال اللغويين حول مسائلها المختلفة.

- أسلوب التعجب في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، السور المكية أنموذجا، طجين صبيحة، ماستر، جامعة مولاي، الطاهر، الجزائر ٢٠١٥-٢٠١٦م.

- أسلوب التعجب مسائل خلافية، مهند عمر رنة، د. وليد السراقبي، مجلة جامعة البحث، المجلد ٣٥، العدد٢٠١٣/٣م.

أمّا في هذا البحث فيسعى الباحثان إلى تتبع آليات إدراك معنى التعجب، وما يؤثر في إدراك دلالته عند المتلقي، ودور السياق الثقافي في الوعي بالعجب وإنتاج معناه. ومعرفة موقف النحاة والبلاغيين في دراستهم التعجب.

تعريف التَّعَجُّبِ: العُجْبُ والعَجَبُ مُحَرَّكَةً: إِنْكَارُ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ لِقِلّة اعْتِيَادِه. والتَّعَجُّب مِمّا خَفِيَ سَبَبُه وَلم يُعْلَم. وحَاصِل مَا ذَكَرَه أَهْلُ اللُّغَةِ فِي هَذَا المَعْنَى: أَنَّ التَّعَجُّبَ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلإِنْسَانِ عِنْدَ سَبَبِ جَهْلِ الشَّيْءِ، ولَيْسَ هُوَ سَبَبًا لَه فِي ذَاتِه، بَلْ هُوَ حَالَةٌ بحَسَبِ الإِضَافَةِ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ السَّبَبَ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ، ولِهَذَا قَالَ قومٌ: كُلُّ شَيْءٍ عَجَبٌ، قَالَهُ الرَّاغِبُ: وَبَعْضُهُم خَصَّ التَّعَجُّبَ بالحَسَنِ فَقَط[(١)].

«وحَدُّ التَّعَجُّبِ مَا يَجِدَهُ الإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ خُرُوجِ الشَّيْءِ مِنْ عَادَتِهِ[(٢)]».

ويُعَرِّفُهُ ابنُ يَعِيش بِأَنَّهُ: « مَعْنًى يَحْصُلُ عِنْدَ المُتَعَجِّبِ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ مَا يُجْهَلُ سَبَبُهُ، ويَقِلُّ فِي العَادَةِ وُجُودُ مِثْلِهِ. وذَلِكَ المَعْنَى كَالدَّهَشِ والحَيْرَةِ؛ مِثَالُ ذلك أَنَّا لو رأينا طائرًا يطير، لم نتعجّب منه لجَرْي العادة بذلك، ولو طار غَيْرُ ذِي جَنَاحٍ، لوقع التعجُّب منه؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنِ العَادِةِ، وخَفِيَ سَبَبُ الطَّيَرانِ[(٣)]». والتَّعجب عند الجرجاني: «انْفِعَالُ النَّفْسِ عَمَّا خَفِيَ سَبَبُهُ[(٤)]». ويقول ابن الخشاب: « التَّعَجُّبُ مَعْنًى مِنَ المَعَانِي الَّتِي تعرض في النفوس، ويكون مما خفي سببه، وخرج عن نظرائه، وربما عبروا عن هذا المعنى بعبارة أخرى،

(١) انظر: تاج العروس: ٣/ ٣١٩، ولسان العرب: ١/٥٨٠-٥٨١
(٢) الجمل في النحو: ٧٨
(٣) شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٤١١
(٤) التعريفات: ٦٢

فقالوا: التعجب يكون مما ندر من الأحكام، ولم تعرف علته، فإن أخل هذا المعنى بأحد الشرطين بطل التعجب، ولهذا قال القائل، وهو قول مستفيض في الناس "إذا عرف السبب بطل العجب"[(١)]».

ومما سبق نرى أن جملة ما طرح من تعريفات للتعجب تنص على أن التعجب يحدث في حالات معينة منها مخالفة العادة وجهل السبب، وندرة الحدوث، وحدوث التعجب نتيجة لمخالفة الاعتياد يقتضي أن التعجب ليس عاما، بل خاصٌّ بمن وقع عنده المخالفة؛ لأنَّ المعتاد على الشيء لا يتعجب من حدوثه، وهو ما يفتح نافذة لدراسة التعجب في سياق ثقافي؛ لأنَّ ما يكون مثارا للتعجب في سياق ثقافي ما قد لا يكون مثارا للتعجب في سياق ثقافي آخر. فضلا عن اختلاف الأذواق، والمقاييس الجمالية، من ثقافة إلى أخرى ومن فرد إلى آخر، وَيُصَدِّقُ ذلك واقعُ الحَيَاةِ.

ويرى الباحثان أنَّ التعجب هو: إظهار الدهشة والانفعال تجاه أمر ما لصفة فيه؛ حسنة أو غير حسنة، أو لحدوثه مخالفا للعادة في الزمان أو المكان بصيغ كثيرة تدل على ذلك؛ سماعية وقياسية.

المبحث الأوَّل: التَّعَجُّبُ القِيَاسِيُّ[(٢)]: وهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّعَجُّبِ يَطَّرِدُ في صِيغَتَيْنِ قياسيتين هما:

أولاهما: ما أفْعَلَه. وثانيهما: أفْعِلْ به.

نحو: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا! - أَحْسِنْ بِزَيْدٍ!

والصيغة الأولى " ما أَفْعَلَه "تتألف من(٣):

- "ما" التَّعَجُّبِيَّة، وهي عند النحاة نكرة تامة بمعنى شيء، وتُعْرَبُ مُبْتَدَأً.

(١) المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب: ١٤٥

(٢) يسمى في كتب النحاة التعجب المبوَّب، أما غير القياسي، فيسمَّى غير المبوب. انظر: شرح التصريح على التوضيح:٦٨/٢، ومعاني النحو: ٢٧٨/٤

(٣) انظر: اللمع في العربية:١٣٦، وشرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٤١٩، وشرح الأشموني: ٢/ ٢٦٣

- فِعْل التَّعَجُّبِ: وهو فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ، وفِيهِ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ يَعُودُ عَلَى "مَا".

- المتَعَجَّب مِنْهُ: وهو الاسم المنصوب الذي أثار الدهشة وبعث على العجب منه، ويُعْرَبُ مَفعولًا به. والجملة من الفعل والفاعل والمفعول به في محل رفع خبر المبتدإ.

وتَتْألَّف الصيغة الثانية "أَفْعِلْ به" من(١):

- فِعْل التَّعَجُّب: وَهُوَ فِعْلٌ مَاضٍ جَاءَ عَلَى صُورَةِ الأَمْرِ.

- الباء: وَهُوَ حَرْفُ جَرٍّ زَائِد.

- المتَعَجَّب مِنْهُ: وهُوَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ حَرْفُ الجَرِّ الزَّائِدِ. ويُعْرَبُ فَاعِلًا مَرْفُوعًا مَحَلًا مَجْرُورًا لَفْظًا.

ويظهر ابن اللغة تعجبه واندهاشه باستعمال صيغة من صيغتي التعجب؛ " ما" أَفْعَلَه" أو "أَفْعِلْ به" ويشترط النحاة شروطا في الفعل المراد التعجب منه على صيغة من صيغ التعجب، وهي أنْ يَكُونَ الفِعْلُ(٢): ثلاثيا؛ فلا يصاغ من غير الثلاثي؛ نَحْو: مَا أَجْمَلَ السَّمَاءَ! - أَجْمِلْ بِالسَّمَاءِ!

ومِنَ الشَّاذِ: "مَا أَقْمَنَهُ بِكَذَا، "ومَا أَجْدَرَهُ بِكَذَا"! مِنْ "قَمِن" و"جَدِير". ولَيْسَ لَهُمَا فِعْلٌ(٣).

وأن يكون الفعل مبنيا للمعلوم؛ فلا يصاغ من المبني للمجهول. وأن يكون قابلا للتفاوت؛ نحو: طال ، وقصر، وبخل، وجاد ... فلا يتعجب من أفعال لا تقبل التفاوت؛ نحو: مات، وغرق، وفني. على أن التعجب الأفعال القابلة للتفاوت ليس على درجة واحدة فهناك أفعال دالة على معان لا يكون التعجب منها مباشرة كالزراعة والمشي والقتال، جاء في ارتشاف «أما القيام، والقعود، والجلوس فمعان، لا يجوز التعجب منها؛ لِأَنَّها مِمَّا لَا يُتَصَوَّرُ فيها الزيادة

(١) انظر: اللمع في العربية:١٣٧، وشرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٤١٩، وشرح الأشموني: ٢/ ٢٦٤

(٢) انظر: ارتشاف الضرب:٤/٢٠٧٧-٢٠٨٢، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٦٧-٧١، واللمحة في شرح الملحة:١/٥١٧-٥١٨

(٣) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢/ ٨٩٣، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٦٧

والنقص، فلا يرجح قيام على قيام فيما يدل عليه لفظ قيام، وكذا القعود والجلوس، فأما ما تكرر فعله وكثر كأن يقوم إنسان مرات عدة، وآخر أقل منها أو أكثر منها، فيمكن التعجب بأكثر أو أقل لا بلفظ الفعل نفسه(١)».ولا يصاغ التعجب من الأفعال الناقصة؛ نحو: كان، وصار وظل...

وأن يكون الفعل متصرفا، فلا يصاغ من الفعل الجامد؛ نحو: بئس، ونعم، وليس ...

وأن يكون الفعل مثبتا غير منفي، ولا يجوز التعجب من الفعل المنفي. والشرط الأخير لا يصاغ التعجب من الأفعال الدالة على عيوب أو ألوان، وهي تلك الأفعال التي يصاغ الوصف منها على وزن "أَفْعَل" الذي مؤنثه فَعْلاء؛ نحو أحمر وحمراء وأصفر وصفراء؛ فلا « يُبنى فِعْلُ التَّعَجُّبِ مِنَ العُيُوبِ الظَّاهِرَة كالحَوَلِ والعَوَر لوَجْهَيْنِ:

أحدُهما: أَنَّ فعل هَذِه العُيُوب فِي الأَصْل زَائِد على ثَلَاثَة أحرف نَحْو: احْوَلَّ. واعْورَّ؛ فَلَا يصحُّ زِيَادَة همزَة التعجُّبِ عَلَيْهِ. وَمَا جَاءَ مِنْهُ على ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فمعدول بِهِ عَن أَصله؛ وَلِهَذَا يصحُّ فِيهِ الوَاو نَحْو: "حَوِلَ" تَنْبِيها على أنَّه فِي حكم "احْوَلَّ"، وَمَا جَاءَ مِنْهُ ثلاثيًا لَا غير؛ نَحْو: "عَمِيَ"، فَمَحْمُول على البَاقِي.

وَالوَجْه الثَّانِي أنَّ العُيُوب الظَّاهِرَة كالَخلَق الثَّابِتَة كَاليَدِ وَالرجل وكما لَا يُبْنى مِنْ هَذِه الأعضاء فِعْل التعجُّب، كَذَلِك العُيُوب الظَّاهِرَة. أمَّا العُيُوب البَاطِنَة كعَمَى القَلْبِ والحَمَاقَةِ، فَيُبْنَى مِنْهَا فِعْل التَّعَجُّبِ نَحْو: مَا أَعْمَى قَلْبَهُ. وَمَا أَحْمَرَهُ؛ تُرِيدُ البَلادَةَ، وَكَذَلِكَ مَا أَسْوَدَهُ؛ تُرِيدُ السِّيَادَةَ(٢)».

صياغة أسلوب التعجب[٣]:

أَوَّلًا: الأفعال الجامدة والأفعال غير القابلة للتفاوت لا يتعجب منها مطلقًا.

(١) ارتشاف الضرب: ٤/ ٢٠٨٤
(٢) اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٢٠١-٢٠٢
(٣) انظر: دروس وتطبيقات في النحو: ٤٥٦-٤٥٧، واللمحة في شرح الملحة:١/٥٢٠، وارتشاف الضرب:٤/٢٠٨٤-٢٠٨٥

ثانيًا: الأفعال التي تحققت فيها الشروط السابقة كالفعلين "جَمُلَ" و"نَضِرَ" يتعجب منها مباشرة؛ نحو:

- ما أَجْمَلَ أرضَ اليَمَنِ! - أَجْمِلْ بِأَرْضِ اليَمَنِ!

- مَا أَنْضَرَ الأَزْهَارَ! - أَنْضِرْ بِالأَزْهَارِ!

ثالثًا: الأفعال غير الثلاثية والناقصة الَّتي لا تنطبق عليها الشروط يتعجب منها باستعمال فعل تنطبق عليه الشروط، ثم يؤتى بمصدر الفعل (الصريح أو المؤول) المراد التعجب منه؛ نحو:

أتقن: ما أَحْسَنَ إِتْقَانَ العَمَلِ!: أَحْسِنْ بِإِتْقَانِ العَمَلِ!

كان: ما أَجْمَلَ كَوْنَكَ مُجْتَهِدًا!: أَجْمِلْ بِكَوْنِكَ مُجْتَهِدًا!

حَمِرَ: مَا أَحْسَنَ حُمْرةَ الوَرْدِ!: أَحْسِنْ بِحُمْرَةِ الوَرْدِ!

رابعًا: الأَفْعَال المبنية للمجهول والأَفْعَالُ المنفية التي لا تنطبق عليها الشروط، يتعجب منها باستعمال فعل تنطبق عليه الشروط، ثم يؤتى بمصدر الفعل المؤول (بأنْ المصدرية أو بما المصدرية) للفعل المنفي أو المبني للمجهول المراد التعجب منه، بِحَيْثُ تَبْقَى صُورة الفِعْلِ المنفي وصورة الفعل المبني للمجهول في أسلوب التعجب؛ نحو:

عُرِفَ الحقُّ: ما أَحْسَنَ ما عُرِفَ الحقُّ!: أَحْسِنْ بما عُرِفَ الحقُّ!

لا يَكْذِبُ المُسْلِمُ: مَا أَحْسَنَ أَلَّا يَكْذِبَ المُسْلِمُ! - أَحْسِنْ بِأَلَّا يَكْذِبَ المُسْلِمُ!

وإِنْ كَانَ الفِعْلُ « منفيا أو مبنيا للمفعول، لم يصح ذلك فيه، إِلَّا بِأَنْ يُؤْتَى بِهِ صِلَةً لِحَرْفٍ مَصْدَرِيٍّ مُعْطِي ما للمتعجب منه، فيقال: مَا أَقْرَبَ أَلَّا يَفْعَلَ وأَقْرِبْ بِأَلَّا يَفْعَلَ، ومَا أَشَدَّ مَا ضُرِبَ وأَشْدِدْ بِما ضُرِبَ. وإنما فعل ذلك؛ ليبقي لفظ النفي ولفظ الفعل المبني للمفعول[1]».

ومعنى ذلك أنَّ إنتاج دلالة التعجب قياسا لا يشكل إلا جزءا يسيرا، إذا قورن بإنتاج دلالة التعجب في التعجب السماعي (غير القياسي)؛ لأنه منحصر

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢/ ٨٩٨

في من يتعامل مع اللغة في نظامها الفصيح، أما التعجب في الاستعمال، ونعني به غير القياسي، فهو عام يشمل لا يتقيد بقواعد معينة. وتوظف فيه كثير من العبارات والجمل في التعجب وفق مقتضيات السياق، وفي غير معانيها الأصلية، فربما وظف ما يفيد الذم والقدح في التعجب وإرادة معنى مغاير لمعنى العبارة في أصل استعمالها؛ نحو: ثكلتك أمك، ويل أمه مسعر حرب، وتربت يداك... وهو موضوع المبحث الثاني.

المبحث الثّاني: التَّعَجُّبُ غَيْرُ القِياسِيِّ: و هُوَ كلُّ مَا وَرَدَ في اللُّغَةِ تَعْبِيرًا عَنِ التَّعَجُّبِ مُخَالِفًا لصيغَتَيْ التَّعجُّبِ القِيَاسِيّ مِنْ جُمَلٍ وعِبَاراتٍ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّعَجُّبِ بِالوَضْعِ، وَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ بِقَرِينَةٍ(١). وظَّفها العرب في الاندهاش والاستغراب مِنْ أَمْرٍ مَا، قَال ابْنُ حيَّان: « وقد جاء التعجب متضمنًا جملًا لم تكن له في أصل الوضع، فمن ذلك قولهم: سبحان الله، ولا إله إلا الله، وسبحان الله من هو؟ ومررت برجل أيما رجل، وزيد ما زيد؟ ويلمه رجلًا، ولله دره فارسًا، وحسبك به فارسًا، وكفاك بزيد رجلًا، وسبحان الله رجلًا(٢)».

«وهناك تعبيرات غير منحصرة تستعمل في التعجب، وذلك كأن يخرج الاستفهام إلى التعجب، نحو: (أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) [هود: ٧٢]، ونحو : سبحان الخالق المبدع، إذا تعجبت من صورة جميلة. و"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" و"قَاتَلَهُ اللهُ مِنْ رَجُلٍ"، و"العَظَمَةُ للهِ"، وما إلى ذلك.

وهي تعبيرات غير منحصرة، وإنما تكون بكل ما يؤدي معنى التعجب(٣)».

وقد أشار اللغويون إلى هذا النوع من التعجب السماعي؛ فذكروا أن التعجب سماعيا يكون بعبارات مختلفة من أبواب النحو(٤)؛ نَحو:

- التَّعجب بالنداء؛ نحو: يَا لَلْعَجَبِ! - يَا للهِ! - يا عَجَبا!

- التَّعَجُّبُ بِأَسْمَاءِ الأَفْعَالِ؛ نَحْو: وَيْ كَأَنَّ الامْتِحَانَ عَسِيرٌ!

(١) انظر: شرح التصريح على التوضيح:٥٧/٢
(٢) ارتشاف الضرب:٢٠٨٦/٤
(٣) معاني النحو: ٤/ ٢٩٥
(٤) انظر: معاني النحو: ٤/ ٢٩٠-٢٩٥، وصيغ التَّعجب السماعية: ٩-١٠

واهًا لِسَلْمَي ثُمَّ واهًا واهًا***يا ليت عيناها لنا وفاها

- التَّعَجُّبُ بِأَسْمَاءِ الاستفهام وحروفه؛ نَحْو: كَيْفَ يَكُونُ لَكَ مَالٌ؟ وكَيْفَ تَعْصِي مَنْ يَرَاكَ؟

- التَّعَجُّبُ بالمَصْدَرِ؛ نَحْو: سَبْحَانَ اللهِ! - مَعَاذَ الله! - عَجَبًا لَهُ!

- التَّعَجُّبُ بإِدْخَالِ "رُبَّ" عَلَى الضَّمِير؛ نَحْو: رُبَّهُ رَجُلًا قَابَلْتُ!

- التَّعَجُّبُ بِالقَسَمِ؛ نَحْو: لَلَّه لا يُؤَخِّرُ الأَجَلَ!

- التعجب بكفى؛ نحو: كفى بالشَّيْبِ واعِظًا!

- التَّعَجُّب بأيْ الكمالية؛ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيِّ رَجُلٍ!

- قَالَ اللهُ: (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) [النمل: ٢٠]

- حديث نبوي: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضِيعَ مَنْ يَقُوتُ(١)».

- حديث نبوي: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ(٢)».

والتعجب السماعي أوضح تمثيلا للجانب الاستعمالي من اللغة أو اللغة في الاستعمال، وهو ما يشكل مخالفة للنظام اللغوي، فيعبر أبناء اللغة بطريقة غير مباشرة عن معانٍ ضمنية في عبارات وجمل في أصلها لا تتعلق بالتعجب، ولكنها استعملت في سياقات معينة لإنتاج دلالات التعجب. فاطرد استعمالها فيما بعد في هذا الباب.

أما كيفية إنتاج دلالة التعجب، فيمكن أن نتوقف على بعض الشواهد للوقوف على ذلك؛

فالتعجب في قوله تعالى: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) [هود: ٧٢، ٧٣]، مركز الدلالة هنا في جملة الحال" وأنا عجوز"؛ إذ لا يرتبط بفعل الولادة؛ لِأَنَّ كُلَّ امْرَأَةٍ مُتَوَقَّعٌ منها ومن مثيلاتها،

(١) مسند أحمد، ط: الرسالة: ١١/ ٤٢٤
(٢) مسند أحمد، ط: الرسالة: ٣١/ ٢٥٢

على ما جرت به العادة والعرف بين الناس الولادة، فمركز دلالة التعجب، هو جملة الحال، "وأنا عجوز"؛ لأنَّ في العادة، إذا أصبحت المرأة عجوزا، فإنَّها لا تكون صالحة للحمل والولادة؛ ومن أجل ذلك ضحكت متعجبة ومستبعدة حصول ذلك. قال ابن عاشور: «وَإِنَّمَا ضَحِكَتِ امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْ تَبْشِيرِ المَلَائِكَةِ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِغُلَامٍ، وَكَانَ ضَحِكُهَا ضَحِكَ تَعَجُّبٍ وَاسْتِبْعَادٍ.... وَلَمَّا بَشَّرُوهَا بِذَلِكَ صَرَّحَتْ بِتَعَجُّبِهَا الَّذِي كَتَمَتْهُ بِالضَّحِكِ، فَقَالَتْ: (يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)(١)»

والتعجب في الآية ليس مقصودا لذاته، وإنما هو دلالة أولية يتوصل بها إلى الدلالة المقصودة، وهي الاستبعاد، وهو ما استدعى تعجبا ثانيا من الملائكة " قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ"

ومركز الدلالة في التعجب الثاني هو الفاعل الذي هو الضمير، ياء المخاطبة في تعجبين؛ لأنَّه لو كان التعجب من غير زوج نبي الله إبراهيم عليه السلام، لما كان مثارا للتعجب، فبالنظر إلى كونها زوجة لنبي ومؤمنة بالله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فلم يكن متوقعا منها هذا التعجب؛ لِأَنَّ من كان حاله كحالها لا يعجب من وقوع ما هو خارق للعادة. قال ابن عاشور: «وَجَوَابُ المَلَائِكَةِ إِيَّاهَا بِجُمْلَةِ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنْكَارٌ لِتَعَجُّبِهَا؛ لِأَنَّهُ تَعَجُّبٌ مُرَادٌ مِنْهُ الِاسْتِبْعَادُ، وأَمْرِ اللَّهِ هُوَ أَمْرُ التَّكْوِينِ؛ أَيْ: أَتَعْجَبِينَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى خَرْقِ العَادَاتِ. وَجَوَابُهُمْ جَارٍ عَلَى ثِقَتِهِمْ بِأَنَّ خبرهم حق منبئ عَنْ أَمْرِ الله. وَجُمْلَة "رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ" تَعْلِيلٌ لِإِنْكَارِ تَعَجُّبِهَا؛ لِأَنَّ الإِنْكَارَ فِي قُوَّةِ النَّفْيِ، فَصَارَ المَعْنَى: لَا عَجَبَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ إِعْطَاءَكِ الوَلَدَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَبَرَكَةٌ، فَلَا عَجَبَ فِي تَعَلُّقِ قُدْرَةِ اللَّهِ بِهَا وَأَنْتُمْ أَهْلٌ لِتِلْكَ الرَّحْمَةِ وَالبَرَكَةِ فَلَا عَجَبَ فِي وُقُوعِهَا عِنْدَكُمْ(٢)».

وربما كان الغرض من الاستفهام التوبيخ والتعجيب معا؛ قال القزويني معلقا على الاستفهام في قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: ٢٨]: «أَيْ: كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ؛ فلأنَّ الكفر مع هذه الحال ينبئ عن

(١) التحرير والتنوير: ١٢/ ١١٩-١٢٠
(٢) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٢١-١٢٢

الإنهماك في الغفلة أو الجهل، وأما التعجب؛ فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع، وعلمه به يجعله يأبى أن يكفر، وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب(١)».

ويقع التعجب في سياقات مختلفة ومرتبطة بعوامل لغوية وثقافية، وكذلك بالزمان والمكان، ففي الجانب اللغوي يحدث التعجب إما من الفعل أو من الفاعل أو مما وقع عليه الفعل، وكلها مرتبطة بموقف المتكلم، فقد يكون متوقعا لوقوع الفعل مطلقا ولا يعنيه من وقع منه ولا من وقع عليه، فمركز الاندهاش لديه هو وقوع الحدث نفسه. قال عبد القاهر الجرجاني: «ومَبْنَى الطباع وموضوعُ الجِبِلَّة، على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه، وخرج من موضعٍ ليس بمعدِنٍ له، كانت صَبَابةُ النفوسِ به أكثر، وكان بالشَّغَف منها أجدر، فسواءٌ في إثارة التعجُّب، وإخراجك إلى روعة المستغربِ، وُجودُك الشيءَ من مكان ليس من أمكنته، ووجودُ شيءٍ لم يُوجَد ولم يُعرَف من أصله في ذاته وصفته(٢)».

والتعجب والاندهاش، لا يحدث بصورة واحدة عامة عند المتلقين، فلو أن خبرا ما ألقي على جماعة من الناس، فإنَّ تلقي الخبر سيختلف لديهم كل على حسب ثقافته ومعارفه، وميوله وخبراته السابقة، فقد لا يثير دهشة البعض لاعتيادهم وقوع مثله أو لأنه ليس مما يعنيهم ويثير استغرابهم بينما سيثير الخبر دهشة البعض لندرة حدوثه ولعدم اعتيادهم على مثله، والبعض سيعجب لوقوعه من فاعل معين، والبعض الآخر، سيعجب لوقوعه على مفعول معين، والبعض سيعجب من وقوعه في زمن معين والبعض سيعجب لوقوع الحدث في مكان معين. والبعض سيعجب لوقوع الحدث في صورة معينة.

فقد علق عبد القاهر الجرجاني على قول البحتري:

طَلَعْتَ لهم وَقْتَ الشُّروق فعَايَنُوا***سَنَا الشَّمْسِ مِنْ أُفْقٍ ووَجْهَك مِنْ أُفْقِ

وما عَاينُوا شَمْسَيْنِ قَبْلَهُمَا التَقَى***ضِياؤُهُما وَفْقًا مِنَ الغَرْبِ والشَّرْقِ

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ٧٩
(٢) أسرار البلاغة: ١٣١

«معلوم أن القصد أن يخرج السامعين إلى التعجّب لرؤية ما لم يروه قط، ولم تجر العادة به. ولم يتمّ للتعجّب معناه الذي عناه، ولا تظهر صورته على وصفها الخاصّ، حتى يجترئ على الدّعوى جرأة من لا يتوقف ولا يخشى إنكار منكر، ولا يحفل بتكذيب الظاهر له، ويسوم النفس، شاءت أم أبت، تصوّر شمس ثانية طلعت من حيث تغرب الشمس، فالتقتا وفقا، وصار غرب تلك القديمة لهذه المتجددة شرقا (١)».

ومن ذلك ما نقله المبرد عن هجوم الخوارج في عيد الأضحى: « فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس، إذا الشراة قد تألبوا، فقال المهلب: سبحان الله! أفي مثل هذا اليوم!(٢)».

فمثار التعجب لدى المهلب حين قال: "سبحان الله، و"أفي مثل هذا اليوم" مرتبط بالزمن؛ فمعلوم أن المهلب لا ينكر وقوع الفعل "الاعتداء"، ولا من وقع منه الفعل وهم الخوارج لكون الحرب دائرة بينهم، لكنه لم يكن يتوقع حدوث ذلك في يوم العيد اليوم المقدس عند المسلمين من الخوارج وغيرهم،

فاستعمل عبارة "سبحان الله" وهي في أصلها لذكر الله وتنزيهه لا للتعجب، لكنها انتقلت في الاستعمال لتدل على التعجب ثم أردفها بأسلوب الاستفهام المجازي المراد به الاستبعاد، فحذف الفعل والفاعل لزيادة التركيز على مثار التعجب وهو الزمن وأصل الجملة " أيقاتلون في مثل هذا اليوم؟ وجملة الاستفهام هي التي حددت مركز الدلالة؛ إذ إنَّ عبارة سبحان الله، دلت على التعجب مطلقا، وجاءت بعدها جملة لتفسر السبب الذي وَلَّدَ التعجب، وكذلك في قول أعرابية حينما سئلت «أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله! أما أعرف أشباحا وقوفا عليّ كلّ ليلة(٣)».

فتعجبت من موضوع السؤال نفسه؛ إذ معرفة النجوم من أهل البادية أمر مفروغ منه؛ لِأَنَّ حياتهم مرتبة على معرفة النجوم وأوقات الليل، فالسؤال عن المعلوم يدل على غفلة السائل، فلذلك تُؤُولُ دلالة التعجب إلى الاستهجان والتنبيه إلى كون السؤال في غير موضعه.

(١) أسرار البلاغة: ٣٠٤
(٢) الكامل في اللغة والأدب: ٤/ ٣٧
(٣) الحيوان: ٦/ ٣٣٣

ونلاحظ أن عبارة سبحان الله وما أشبهها حين تستعمل في التعجب يغلب أن يلحقها جملة تفسر سبب التعجب، كما في حديث أبي هريرة قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جُنُبٌ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى قَعَدَ، فَانْسَلَلْتُ، فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ، فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ، وَهُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: " أَيْنَ كُنْتَ؟ " فَقُلْتُ: لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْلِسَ إِلَيْكَ وَأَنَا جُنُبٌ، فَانْطَلَقْتُ فَاغْتَسَلْتُ. فَقَالَ: « سُبْحَانَ اللهِ! إِنَّ المُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ(١)». فالتعجب من فعل أبي هريرة، لاعتقاده أَنَّ الجُنُبَ نَجِسٌ، فَبَيَّنَ لَهُ النَّبِيُّ (ص) أَنَّ المؤمن لا ينجسُ.

والعبارات المستعملة لإنتاج دلالة التعجب التي أوردناها، مرتبطة بسياقاتها، وليس المقصود الحصر، ذلك أن طبيعة اللغة تحتم أن توجد عبارات أخرى مستعملة في التعجب أو أن أبناء اللغة ربما يستعملون عبارات جديدة تعبر عن التعجب، وليست موضوعة له.

إنَّ العبارات الواردة في بعض النصوص المعبرة عن التعجب حين نتفحصها، فإنها لا تتصل بالتعجب لا من قريب ولا من بعيد بل إن بعضها تستعمل في معان بعينها كالشتم واللوم والعتاب وما شابه ذلك، «وَكَثِيرًا تَرِدُ لِلْعَرَبِ أَلفاظ ظَاهِرُهَا الذَّمُّ وَإِنَّمَا يُرِيدون بِهَا المَدْحَ كَقَوْلِهِمْ: لَا أَبَ لَكَ، وَلَا أُمَّ لَكَ، وهَوَتْ أُمُّه، وَلَا أَرضَ لَكَ، ونحوِ ذَلِكَ(٢)»، ويظهر المعنى المراد منه من خلال السياق، «ومن خلال الموقف الذي يقال فيه الكلام؛ ربما ينصرف المعنى إلى معنى التهكم أو التعجب؛ نحو: الحمد لله على السلامة. أو بدري، أو صباح الخير مثلًا، حينما يقولها المسؤول لموظف متأخر عن دوامه أو مُتَغَيِّبٍ عن عمله(٣)».قال عبد القاهر الجرجاني: فَرُبَّ «هَزْلٍ صار أَداةً في جِدّ، وكلامٍ جَرى في باطلٍ ثم استُعينَ به على حَقّ، كما أنه رُبَّ شيءٍ خَسيس، تُوصِّلَ به إلى شريفٍ، بأَنْ ضُرِبَ مَثَلًا فيه وجُعل مثالًا له، كما قال أبو تمام: واللهُ قَدْ ضَربَ الأَقلَّ لنورِه***مَثَلًا منَ المشكاة والنبراس.

وعلى العكس، فربَّ كلمةِ حَقٍّ أُريدَ بها باطلٌ، فاسْتُحِقَّ عليها الذمُّ .... ورُبَّ قولٍ حَسَنٍ لم يَحْسُنْ من قائِلِه حينَ تَسبَّبَ به إلى قبيحٍ، كالذي حكى

(١) مسند أحمد، ط: الرسالة: ١٢/ ١٤٥
(٢) لسان العرب:٢٢٩/١
(٣) في علم اللغة: ٢٠٤

الجاحظ قال: "رجع طاووس يومًا عن مجلسِ مُحمّدِ بنِ يوسُفَ، وهوَ يومئذٍ والي اليَمَنِ فقال: ما ظَنَنْتُ أَنَّ قول: "سبحان الله" يكون معصية لله تعالى حتى كانَ اليومُ، سمعتُ رجلًا أَبلغَ ابنَ يوسُفَ عن رجلٍ كلامًا، فقالَ رجلٌ من أهلِ المَجلس: "سبحانَ الله"، كالمستعظمِ لذلك الكلامِ، ليُغضِبَ ابنَ يوسف(١)».

وعبارة "ثكلتك أمك" موضوعة للدعاء على المتلقي بالموت؛ لأنَّ الثُّكْلَ هو الفَقْدُ، والثَّكْلَى من النِّساء مَنْ فقدت ولدها؛ وهي مستعملة في اللغة بهذا المعنى ففي تاج العروس: «الثُّكْلُ، بالضّمّ: الموتُ والهَلاكُ وفِقْدانُ الحَبِيبِ والوَلَدِ وعَلى الأَخير اقْتصر الأكثرُون .... وَقدْ ثَكِلَه، كفَرِحَ ثَكَلاً فَهُوَ ثاكِلٌ وثَكْلانُ: فَقَدَه... وأَثْكَلَتِ المرأةُ: لَزِمَها الثُّكْلُ وصارَتْ ذاتَ ثُكْلٍ(٢)».

ومن ذلك ما نسب لعُمَرَ ﷺ عند هجرته من مكة: «من أراد أن تثكله أمّه، أو يوتم ولده، أو يرمّل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي(٣)». لكن العبارة نفسها أو الجملة ذاتها وردت دالة على التعجب كما جاء في حديث معاذ: « ... قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ " فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: " كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟(٤)».

وليس مقصودا بها هنا الدعاء؛ لأنَّ السياق يمنع ذلك فلا يتصور أن يدعو النبي (ص) على معاذ، وإنما جاءت معبرة عن اندهاش النبي (ص) من سؤال معاذ عن المؤاخذة عن الكلام، إذ الواضح أن معاذا كان يعتقد أن الإنسان غير مؤاخذ بما يقول. وقد جاء سؤال معاذ متضمنا التعجب "وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟" والتعجب هنا دلالة أولية تفضي إلى الاستبعاد والنفي. وهو معتقد معاذ، وعليه كان رد النبي (ص) بعبارة ثكلتك أمك. وهو تعجب وإنكار في ذات الوقت ويتضمن لوم معاذ وتوبيخه. ثم جاءت بعد ذلك الجملة المفسرة وهل يكب

(١) دلائل الإعجاز ت شاكر: ١/ ١٤-١٤٢
(٢) تاج العروس: ٢٨/ ١٦١
(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤٤/ ٥٢
(٤) مسند أحمد، ط: الرسالة: ٣٤٥/٣٦

الناس... والاستفهام هنا غير حقيقي وإنما هو استفهام يفيد التقرير بمعنى أنه لا يكب الناس في النار إلا حصائد.

ومما يستعمل في التعجب " تَرِبَتْ يَدَاهُ" و"تربت يمينه، وفي الأصل تقَالُ لِمَنْ قلَّ مالُه: قَدْ تَرِبَ؛ أَي: افْتَقَرَ، حَتَّى لَصِقَ بالتُّرابِ(١)، يقول ابن بطال عن "تَرِبَتْ يَمِينُكَ": «هي كلمة لا يراد بها الدعاء، وإنما تستعمل في المدح كما قالوا للشاعر إذا أجاد: قاتله الله! لقد أجاد، وكما قالوا: ويل أمة مسعر حرب، وهو يتعجب منه ويمدحه ولكنه دعاء على أمه بالويل، وهو لا يريد الدعاء عليها من غضب، وهذا كلامهم، وهو مثل تربت يمينك(٢)».

أما في حديث «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ(٣)». فمضمون هذه العبارة الإشارة إلى فِعْلِ أبي بصير أنه وضح له المخرج؛ فلا يمكن لأبي بصير البقاء في المدينة، لأنه لو أقام في المدينة، فإن معاهدة الحديبية تلزم النبي (ص) بإعادته إلى من يطلبه، ومن ثم فَهِمَ أبو بصير أنَّ عليه الخروج من المدينة فضلا عن تكوين مجموعة مقاتلة تضمه وأصحابه الذين أسلموا ولم يكونوا قادرين على الذهاب إلى المدينة وفقا للمعاهدة، كما أنهم كرهوا البقاء في مكة دار الكفر.

وإدراك أبي بصير لمضمون كلام النبي صلى عليه وسلم جانب من استعمال اللغة، إذ أن العبارة لا تصرح بالأمر بالخروج كما أنها لم توجه أبا بصير صراحة بتكوين جماعة مناهضة لقريش بطريق القوافل.

قال ابن حجر: « قَوْلُهُ مِسْعَرَ حَرْبٍ بِكَسْرِ المِيمِ وَسُكُونِ المُهْمَلَةِ وَفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ وَبِالنَّصْبِ عَلَى التَّمْيِيزِ وَأَصْلُهُ مِنْ مُسْعِرِ حَرْبٍ أَيْ: يُسْعِرُهَا قَالَ الخَطَّابِيُّ كَأَنَّهُ يَصِفُهُ بِالْإِقْدَامِ فِي الحَرْبِ وَالتَّسْعِيرِ لِنَارِهَا وَوَقَعَ فِي رِوَايَة بن إِسْحَاقَ مِحَشَّ بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَشِينٍ مُعْجَمَةٍ وَهُوَ بِمَعْنَى مِسْعَرٍ وَهُوَ العُودُ الَّذِي يُحَرَّكُ بِهِ النَّارُ قَوْلُهُ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ أَيْ: يَنْصُرُهُ وَيُعَاضِدُهُ وَيُنَاصِرُهُ وَفِي رِوَايَةِ

(١) انظر: لسان العرب:٢٢٩/١
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٩/ ٣٣٠-٣٢٩
(٣) مسند أحمد، ط: الرسالة: ٣١/ ٢٥٢

الأَوْزَاعِيِّ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ فَلُقِّنَهَا أَبُو بَصِيرٍ فَانْطَلَقَ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَيْهِ بِالفِرَارِ لِئَلَّا يَرُدَّهُ إِلَى المُشْرِكِينَ وَرَمَزَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنَ المُسْلِمِينَ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِ(١)».

ويظهر مما سبق أَنَّ هناك آليات يستعملها أبناء اللغة لإنتاج دلالة التعجب ثم إن الدلالة نفسها متعلقة بالقيم والأعراف السائدة في المجتمع، وهذه القيم والأعراف هي التي تتحكم في إدراك الدلالة والوعي بها؛ إذ لو اختلفت تلك القيم والأعراف بين المتكلم والمتلقي لاستحال إنتاج الدلالة.

الخاتمة: خلص البحث إلى نتائج من أهمها:

- التعجب القياسي هو المرتبط بالنحو وقواعده، وهو أقل استعمالا بسبب ارتباطه بإنشاء التعجب من الفعل.

- التعجب السماعي وهو الأكثر استعمالا؛ إذ تنتج فيه دلالة التعجب بطرق مختلفة ومتعددة وأحيانا غير متوقعة، وغير محصورة في مجال معين، وتستعمل فيه عبارات وجمل لا علاقة لها بالتعجب، بل إنها تستعمل في دلالات أخرى كما رأينا.

- يتحدد مركز الدلالة بثقافة المتلقي وقيمه وأعرافه، وهو ما يحتم تعدد مستوى التعجب لدى المتلقيين.

- يمثل التعجب السماعي ممارسة الجانب الاستعمالي للغة، في أنه لا يستعمل عبارات دالة وصريحة على التعجب، وإنما يستعمل عبارات توحي بالتعجب أو تتضمن معنى غير مصرح به.

- إن التعجب وهو دلالة إفصاحية يعبر فيها المتكلم عن دهشته لحدوث ما لم يكن متوقعا، وهي دلالة ليست مقصودة لذاتها، إنما هي دلالة أولية يتبعها صدور موقف من الحدث إما بالقبول أو بالرفض.

نسأل الله التوفيق في القول والعمل.

(١) فتح الباري لابن حجر: ٥/ ٣٥٠

المصادر والمراجع:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد، راجعه، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني(ت: ٤٧١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، د.ط.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ مدينة دمشق، ابن القلانسي حمزة بن أسد التميمي (ت: ٥٥٥هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط١/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تحويلات الطلب ومحددات الدلالة. دكتور حسام أحمد قاسم. دار النصر. القاهرة ٢٠٠٥.
- التصريح بمضمون التوضيح (شرح التصريح)، خالد الأزهري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ط١.
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١/١٩٨٣م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، ت: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د.فخرالدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١/١٤٠٥ه-١٩٨٥م.
- الحيوان، الجاحظ(ت:٢٥٥ه)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤٢٤ه.

- دروس وتطبيقات في النحو، د. يحيى إبراهيم قاسم، مكتبة صلاح الدين، الحديدة، ط١/٢٠٢٠م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني(ت: ٤٧١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣/١٤١٣ه-١٩٩٢م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني الشافعي (ت: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)
تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢/١٤٢٣ه-٢٠٠٣م.
- شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت: ٦٤٣ه)، المطبعة المنيرية، القاهرة.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، ط١/١٤٢٣ه.
- صيغ التَّعجب السماعية، د. عزيز سليم القرشي، ود. ماجد محسن الموسوي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد١٣/ ٢٠٠٦م.
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢ه)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، ت: مُحَمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣/١٤١٧ه-١٩٩٧م.
- لسان العرب لابن منظور(ت:٧١١)، دار صادر، بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ت: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر – دمشق، ط١/١٤١٦ه-١٩٩٥م.
- اللَّمْحَة في شرح المَلْحَة، ابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠هـ)، ت: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، د.ط.
- المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب (ت: ٥٦٧ هـ)، تحقيق: علي حيدر، دمشق، ط١/ ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط١/١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- مُسْنَد أَحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.
- في علم اللغة، يحيى إبراهيم قاسم، مكتبة صلاح الدين- الحديدة، ط٢/٢٠٢٠م.
- نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م.